

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "قصة رواها الرسول"

نظرات حول ما جاء في كذبات إبراهيم عليه السلام

لفضيلة الشيخ : جمال المراكبي

رابط المادة : <http://www.way2allah.com/khotab-item-27779.htm>

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً. أما بعد..
فهذا هو لقاءنا الثالث وحلقتنا الثالثة وقصتنا الثالثة ..

كذبات إبراهيم.. وهل كذب نبي الله وخليله إبراهيم قط؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: **"إِنِّي سَقِيمٌ"** الصافات: ٨٩ وقوله: **"بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا"** الأنبياء: ٦٣ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقبل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألتني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبه، فقال: إنكم لم تأتونني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأنته وهو يصلي، فأوماً بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء" صحيح البخاري

هذا الحديث من الأحاديث المتفق عليها، وقد أثار بين علماء المسلمين جدلاً كبيراً لأننا نعلم يقيناً أن أنبياء الله ورسوله معصومون، معصومون من الكبائر، بل ومعصومون من الإصرار على صغائر الذنوب، ومعصومون خاصة في البلاغ والإبلاغ عن الله عز وجل.

الكذب من أعظم الكبائر

والكذب كبيرة من الكبائر، الكذب من أعظم الكبائر، والكذب ربما تراه ككفرًا، ككذب الكافرين على الله، إذ زعموا أن آلهتهم التي يشركون إنما هي آلهه مع الله، وككذب الذين جحدوا وجود الله وككذب المنافقين الذين ادّعوا الإسلام بألسنتهم وأبطنوا الكفر في قلوبهم..

"يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" البقرة ٩: ١٠

"إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" المنافقون: ١ والكذب من أكبر الكبائر خاصة إذا كان كذباً على الله.

"فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ" البقرة: ٧٩

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك: "إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" صحيح البخاري

وكذلك الكذب على الناس لا يجوز ولا يليق، بل هو من أكبر الكبائر ألم تسمع إلى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" صحيح مسلم

نعوذ بالله بل إن الكذب في الضحك والكذب في المزاح ليس من أخلاق المؤمنين، النبي صلى الله عليه وسلم يقول "أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" حسنه الألباني

وكان الرجل يحدث بالكذبة عند النبي صلى الله عليه وسلم فيرى أثر ذلك في وجهه، تُعرف الكراهية في وجهه.. حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة، ويل للذي يكذب ليضحك الناس، ويل له، ثم ويل له، الحديث عن الكذب وقبحه حديث معلوم من الدين بالضرورة فهل يُتصور أن يصدر الكذب من مؤمن؟ هل يُتصور أن يصدر الكذب من نبي؟ من رسول؟ من خليل؟

ألوان من الكذب المباح

الحقيقة أن الأمر ليس على هذا النحو، وإنما لا بد أن نعرف أولاً أن هناك ألواناً من الكذب قد أباح الله للمؤمنين استخدامها في حالات معينة..

مثلاً الصلح بين المتخاصمين، تقول السيدة أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها وهي تروي عن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً وينمي خيراً " صحيح مسلم

الذي يسعى بين الناس ليصلح بينهم حتى لو قال كلاماً مخالفاً للحقيقة يتغى بذلك أن يصلح بين المتخاصمين فليس بكذاب على الحقيقة وإنما هو مصلح تقول: "ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا أعده كاذباً! الرجل يصلح بين الناس، يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها" صححه

الألباني

كأن يقول الرجل لامرأته أنت أجمل النساء، أو يقول لها طعامك أفضل طعام تذوقته، وهو يكذب عليها ليطيب قلبها لترى منه وجهًا حسنًا، وتسمع منه كلمة حسنة، المهم أن مثل هذا الكذب لا يُسقط الحقوق ولا يؤدي إلى التسلط على الحقوق، والكذب في الحرب كذب على العدو.

مكانة إبراهيم خليل الرحمن

تعالوا لما نُسب إلى إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أولاً لا بد أن نعرف مكانة إبراهيم، إبراهيم خليل الرحمن "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" النساء: ١٢٥
 إبراهيم أمة واحده "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.. " يا محمد " ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل ١٢٠ : ١٢٣

إبراهيم أول الخلائق يُكسى يوم القيامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تحشرون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ " الأنبياء : ١٠٤ فأول من يُكسى إبراهيم.. " صحيح البخاري إبراهيم خير البرية.. إبراهيم خليل الرحمن، لو أردت أن أعدد فضائل إبراهيم أبو الأنبياء لطال بنا المقام جدًا، إبراهيم قام وحده يدعو إلى التوحيد ناظر أباه، ناظر قومه، جادل وحاج عن الله مع الملك الكافر المشرك خرج مهاجرًا إلى ربه، فكيف يُتصور هذا؟ وما الذي قاله إبراهيم؟

كذبات سيدنا إبراهيم.. كلمات انتصر بها لدين الله عز وجل

تعالوا بنا نسمع: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات" وتقرأ "كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل" والحقيقة أن الثلاثة في ذات الله، الأولى قوله "إِنِّي سَقِيمٌ" الصفات: ٨٩

لما أردوا أن يخرجوا في يوم العيد في عيدهم الذي ينصبونه للأوثان والأصنام، أراد ألا يشاركهم في هذا الشرك فاعتذر وكان لا بد أن يبدي عذرًا مقبولاً ليسمحوا له بالبقاء، فقال إني سقيم، وقد يُحمل هذا على المستقبل يعني أني سأمرض، سأمرض لما أراه من أفعالكم ولما أراه من صنيعكم.. تعبدون الأصنام وتسجدون للأوثان من دون الله، وتحتمل أنه يصف حاله بينهم أنه مريض مما يصنعون ومما يفعلون، إذن هذا من باب التورية والكناية واستخدام المعارض في الكلام وهو أراد أن يبقى في البلدة وحده ليبرم أمرًا عظيمًا..

هذا الأمر العظيم أنه عمد إلى الأصنام في معبد القوم فكسرها، يبقى إذن هو قال هذه الكلمة ليصل ليتوصل إلى مقصود عظيم يُذل به الشرك وأهله، فقال إني سقيم لا أخرج معكم في عيدكم ولا في تجمعكم الباطل ثم قام إلى الأصنام فكسرها وترك كبيرًا لها، ترك الكبير لم يكسره وكان له في هذا أيضًا مغزى مهم، لما جاءوا وعادوا فوجدوا أصنامهم جُذاذاً قد فتت وقد كسرت "قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ" الأنبياء : ٥٩ من الذي يجرو أن يعتدي على الآلهة؟ ثم تذكروا: " قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ " الأنبياء : ٦٠

" قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ " الأنبياء ٦٢ : ٦٣

طب هما هيسألوا إيه؟ الأصنام كُسرَت والكبير واقف على حاله لم يكسر، ولكن هل يسمع؟ هل يبصر؟ هل ينطق؟ هل ينفع هل يضر؟

أراد إبراهيم أن يقيم عليهم الحجة فكانت كذبة في الظاهر لكنها في الحقيقة إفحام وتعليم لهؤلاء أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وربما نحملها على قوله " قَال بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ " الأنبياء : ٦٣ يعني إن كانوا ينطقون فقد فعل هذا، وهم لا ينطقون، ولا يسمعون، ولا يبصرون، ولا ينفعون، ولا يضررون، ولا يفعلون.

أما الثالثة التي لم توصف في الحديث بأنها في ذات الله، وهي أيضاً في ذات الله في قصته مع المَلِكِ الظالم، مع الملك الكافر، نعلم أن إبراهيم لم يؤمن له إلا لوط ابن أخيه، ولم يؤمن معه إلا امرأته..

" فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " العنكبوت: ٢٦

وكان من جملة البلاد التي خرج إليها مصر، وكان فرعون مصر يدعو الناس لعبادته، ملك كافر يعبده الناس من دون الله، وكان إذا وجد امرأة مع زوجها قتل الزوج وساب المرأة وعلم إبراهيم هذا إما بوحي من السماء وإما لأنه سأل القوم، فلما سأله عنها قال هذه أختي، ثم جاء إلى سارة وكانت من أجمل نساء العالمين، جاء إلى سارة فقال لها يا سارة أنتِ امرأتي وأنتِ ابنت عمي ولا يوجد على ظهر الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأنتِ أختي في الإسلام، أختي في الله، وقد قلت هذا لأن هذا الملك الكافر الفاجر يقتل زوج المرأة ليستولي على امرأته، فقلت إنكِ أختي.

فأرسل الملك فاستدعاها، ودخلوا بها عليه فأراد أن يضع يده عليها فدعت الله فأخذ، يعني شلت يده لم يستطع أن يصل بيده إليها، شلت يده فقال لها ادعي الله ادعي ربك، من هذا؟ من الذي فعل بي هذا؟ قالت ربي، قال أسألي ربك أن يفرج عني.. أن يفك عني، فدعت سارة ربها فأرسلت يده، ولكنه لم يتعلم الدرس فمد يده ليتناولها مرة ثانية، فأخذ، فقال ادعي الله أن يُطلقني والله لا أضرك أبداً، فدعت سارة ربها فأطلقت يد الملك، فقال لها الملك اذهبي في أمان وسلام، فأعطاها الملك هاجر هدية تخدمها وقالوا لأنها كانت من أجمل نساء العالمين، فهل هذه كذبات؟ أم كلمات انتصر بها الخليل لدين الله عز وجل؟

ومع هذا ففي موطن الشفاعة لما طُلب منه الشفاعة تأخر لأنه علم أن الشفاعة للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر كذباته التي نستطيع أن نعددها من باب حسنات المقربين أو سيئات المقربين، حسنات للأبرار، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>